غزوات المصطفى ﷺ

(٣)

غَزْوَةُ أُحُدٍ..

الدكتور
محمد عمر الحاجي

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

لا بُدَّ مِنَ الثَّأْرِ لِقَتْلَىٰ بَدْرٍ

لَمْ يَسْتَطِعْ أَهْلُ مَكَّةَ أَنْ يَتَصَوَّرُوا مَا حَدَثَ لَهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ!!

وَلِذٰلِكَ كَانَ حَدِيثُهُمُ اليَوْمِيُّ كَيْفِيَّةَ الثَّأْرِ لِقَتْلَىٰ بَدْرٍ ، فَمَا مِنْ مَجْلِسٍ لَهُمْ وَلاَ نادٍ إلا وَيَدُورُ الحَدِيثُ فيهِ عَنْ كِبارِ صَنَادِيدِهِمُ الَّذينَ سَقَطُوا صَرْعَىٰ عَلَىٰ أَرْضِ بَدْرٍ .

وَالَّذي زَادَ الأَمْرَ سُوءاً أَنَّ الرَّسُولَ صلى الله عليه وسلم قَدْ قَطَعَ الطَّرِيقَ التِّجارِيَّ عَنْهُمْ ، فَقَدْ خَرَجَ أَحَدُ كِبَارِ تُجَّارِهِمْ ، وَهُو (صَفْوانُ بْنُ أُمَيَّةَ) عَلَىٰ رَأْسِ قَافِلَةٍ كَبيرةٍ ، وَاتَّجَهَ مِنْ مَكَّةَ إِلَىٰ

العِـــراقِ ، وَلَـــمْ يَكُـــنْ يَتَصَـــوَّرُ أَنَّ المُسْلِمِيـــنَ سَيَعْتَرِضُونَ قَافِلَتَهُ .

لٰكِنَّ المُفَاجَأَةَ أَنَّ (زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ) وَمَعَهُ مِئَةُ رَاكِبٍ اعْتَرَضُوا طَرِيقَ القَافِلَةِ ، وَأَخَذُوا كُلَّ مَا فيها مِنْ بِضَاعَةٍ وَجِمالٍ وَمَا إِلىٰ هُنالِكَ .

بينَما فَرَّ (صَفْوانُ) وَمَنْ مَعَهُ عَائِدِينَ إِلىٰ مَكَّةَ ، وَوَقَفَ (صَفْوانُ) أَمَامَ الكَعْبَةِ يَصِيحُ بِأَعْلَىٰ صَوْتِهِ : الثَّأْرَ يَا نَاسُ ، وَالكَرَامَةَ الكَرَامَةَ يَا رِجَالَ القَبِيلَةِ ، إِلىٰ الانْتِقَامِ يَا أَبْطالَ العَشِيرَةِ... .

وَذَاتَ لَيْلَـةٍ اجْتَمَـعَ كِبَـارُ المُشْـرِكِيـنَ فـي دارِ النَّـدْوَةِ ، وَتَشَـاوَرُوا فـي كَيْفِيَّـةِ القَضَـاءِ عَلَـىٰ المُسْلمينَ ثَأْراً لِقَتْلَىٰ بَدْرٍ ، واتَّفَقُوا عَلَىٰ دَفْعِ الأَمْوالِ بِهَدَفِ تَجْهِيزِ جَيْشٍ جَرَّارٍ إِلىٰ المَدِينَةِ ، وَفِيهِمْ أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ قَوْلَهُ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ

حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ﴾

[الأنفال : ٣٦] .

وَحَتَّىٰ النِّسَاء ؛ فَقَدْ شَارَكْنَ فِي حَمْلَةِ الانْتِقَامِ وَالثَّأْرِ ، فَتِلْكُمْ (هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ) وَالَّتي فَقَدَتْ يَوْمَ بَدْرٍ أَخَوَيْها اللَّذَيْنِ سَقَطَا تَحْتَ سَيْفِ (حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

فَرَاحَتْ تُحَمِّسُ شَابّاً حَبَشِيّاً اسْمُهُ (وَحْشِيٌّ) ، وَتُشَجِّعُهُ عَلَىٰ أَنْ يَأْخُذَ بِثَأْرِهَا وَيَقْتَلَ حَمْزَةَ ، وَعِنْدَ ذٰلكَ سَيَكُونُ حُرّاً ، وَسَيَأْخُذُ الأَمْوالَ الطَّائِلَةَ مِنْها .

* * *

هَيَّا إِلَىٰ المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ

وَبَعْدَ عامٍ كامِلٍ مِنَ التَّجْهِيزَاتِ وَالاسْتِعْدَادَاتِ ، وَجَمْعِ الأَمْوالِ وَشَحْذِ الهِمَمِ ، وُضِعَتْ خُطَّةٌ مَاكِرَةٌ تَقْتَضِي مُفَاجَأَةَ المُسْلمينَ في المدِينةِ ، وَاغتيالِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم .

وَسَارَ الجَيْشُ الَّذي زَادَ عَدَدُ أَفْرادِهِ عَلى ثَلاثَةِ آلافِ مُقَاتِلٍ ، سَارَ مِنْ مَكَّةَ بِاتِّجَاهِ المَدِينةِ ، وَالبِسِّرِّيَّةُ تُحِيطُ بِهِ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ .

لكنَّ العبَّاسَ بْنَ عَبْدِ المُطَّلِبِ ـ عمَّ رسُولِ اللهِ ـ أَرْسَلَ إِلَيْهِ مَنْ يُخْبِرُهُ بِالخَبَرِ ، فَمَا كَانَ مِنَ الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم إلا أَنْ جَمَعَ المُسْلمينَ وَاسْتَشَارَهُمْ في ذٰلِكَ .

وَأَشَارَ الشَّبَابُ بِالخُروجِ لملاقاةِ أَهْلِ مَكَّةِ ، وَأَشَارَ الكِبَارُ وَالشُّيُوخُ بِالبَقَاءِ دَاخِلَ المَدِينَةِ .

وَرَجَّحَ صَلَواتُ اللهِ عليهِ رَأْيَ الأَغْلَبِيَّةِ ، فَعَقَدَ الأَلْوِيَةَ ، وَسَارَ الجَيْشُ الَّذِي قارَبَ تَعْدَادُهُ أَلْفَ مُقَاتِلٍ ، إلا أَنَّ المنافقينَ بِزعامةِ (عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبيٍّ ابن سَلُول) عادُوا إلىٰ المدينة ، وكانَ تَعدادُهُمْ يُقارِبُ ثُلُثَ الجَيْشِ!!

❊ ❊ ❊

وَفِي مَنْطِقَةِ أُحُدٍ

وَلمَّا وَصَلَ المُسْلمونَ إلىٰ منطقةِ أُحُدٍ ، جَعَلَ رَسُولُ اللهِ ظَهْرَ عَسْكَرِهِ إلىٰ الجَبَلِ ، وَعَيَّنَ خَمسينَ رَجُلاً من الرُّمَاةِ عَلَىٰ رَأْسِ الجَبَلِ ، وَأَمَّر عَلَيهِم (عَبدَ اللهِ بْنَ جُبَيْرٍ) وَأَوْصَاهُمْ بِقَوْلِهِ : « إنْ رَأَيْتُمونَا تَخْطَفُنَا الطَّيْرُ فَلا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ هٰذَا حَتَّىٰ أُرْسِلَ إلَيْكُمْ ، وَإنْ رَأَيْتُمُونَا هَزَمْنَا القَوْمَ وَأَوْطَأْنَاهُمْ فَلا تَبْرَحُوا حَتَّىٰ أُرْسِلَ إلَيْكُم » .

وَراحَ الرَّسُولُ صَلواتُ اللهِ عليهِ يُحَرِّضُ المُسْلمينَ عَلَىٰ القِتَالِ وَالاسْتِشْهادِ في سبيلِ اللهِ ، بَيْنَما كَانَ صَنَادِيدُ قُرَيشٍ يُحَرِّضُونَ المُشْركينَ عَلَىٰ الثَّأْرِ لِقَتْلَىٰ بَدْرٍ ، حَتَّىٰ النِّسَاء المُشْرِكَات كانَ لَهُنَّ

الدَّوْرُ الكَبِيرُ في تَحْمِيسِ المُشْرِكِينَ عَلىٰ مُقَاتَلَةِ المُسْلِمِينَ ، حَيْثُ كانَتْ (هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ) بَيْنهنَّ ، تَحْمِلُ الدُّفوفَ وَتَضْرِبُ بِها ، وتُحَرِّضُ علىٰ مُنَازَلَةِ العَدُوِّ ؛ مِنْ ذَلكَ قَوْلُها :

نَحْـــنُ بَنَـــاتُ طـــارِقْ
نَمْشـــي عَلَـــىٰ النَّمَـــارِقْ[1]
مشْـــيَ القَطـــا وَالبَـــوارِقْ
وَالمسْـــكُ فـــي المفـــارِقْ
والدرُّ في المخانِقْ
إنْ تُقْبِلُـــوا نُعـــانِـــقْ
وَنَفْـــرِشِ النَّمَـــارِقْ
أَوْ تُـــدْبِـــرُوا نُفَـــارِقْ
فَـــراقَ غَيْـــرِ وَامِـــقْ[2]

---

(١) جَمْعُ نُمْرُقَة ، وَهِي الوِسَادَةُ الصَّغِيرةُ .

(٢) أي : غيرُ مُحِبٍّ .

ولمَّا سَمِعَ الرَّسُولُ صلى الله عليه وسلم غِنَاءَهُنَّ رَفَعَ يَدَيْهِ دَاعياً :

« اللَّهم بِكَ أَجُولُ ، وَبِكَ أَصُولُ ، وَفِيكَ أُقَاتِلُ ، وَحَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الوَكيلُ » .

* * *

بَشَائِرُ النَّصْرِ

وَخَرَجَ أَحَدُ صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ للمُبَارَزَةِ ، فَبَرَزَ لَهُ (الزُّبَيْرُ بْنُ العَوَّام) رضي اللهُ عنهُ فَبَارَزَهُ فَقَتَلَهُ ، فَلَمَّا رأىٰ المُسْلمونَ ذلكَ كَبَّرُوا ، وَشَدُّوا عَلَىٰ الأَعْدَاءِ ، وَهُمْ يَصيحونَ : أَمِتْ.. أَمِتْ ـ أَيْ : يَدْعُونَ اللهَ أَنْ يُمِيتَ عَدُوَّهُمْ ـ .

وَانْقَضَّ (عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ) رضي الله عنْهُ عَلىٰ حَامِلِ لِوَاء قُرَيْشٍ (طَلْحَةَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ) ، فَقَتَلَهُ ، فَأَخَذَ اللِّوَاءَ أَخُوهُ أَبُو سَعِيدٍ ، فَانْقَضَّ عَلَيْهِ (حمزةُ) فَقَتَلَهُ ، فَأَخَذَ اللِّواءَ أَخُوه (عُثمانُ) ، فَرَمَاهُ (سَعْدُ بنُ أَبي وَقَّاص) بِسَهْمٍ فَقَتَلَهُ ، فَسَقَطَ لِواءُ المُشْرِكينَ عَلَىٰ الأَرْضِ ، فَدَبَّ الخَوْفُ وَالذُّعْرُ

وَالهَلَعُ في قلوبِ أَفْرادِ الجَيْشِ المُشْرِكِ ، حَيْثُ رَاحَتْ نِساؤُهُمْ تَصِيحُ وَتُوَلْوِلُ ، بَيْنما أَخَذَ رِجَالُهُمْ يَفِرُّونَ مِنْ أَرْضِ المَعْرَكَةِ!!

* * *

وَخَالَفَ الرُّمَاةُ أَمْرَ الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم

وَرَاحَ المُسْلِمونَ يَجْمَعُونَ الغَنَائِمَ ، وَظَنَّ الرُّمَاةُ أَنَّ النَّصْرَ قَدْ كُتِبَ لِلْمُسْلِمينَ ، فَتَرَكُوا أَمْكِنَتَهُمْ وَنَزَلُوا إِلىٰ أَرْضِ المَعْرَكَةِ لِكَيْ يُشَارِكُوا بَقِيَّةَ المُسْلمينَ في جَمْعِ الغَنَائِمِ ، فَمَا كَانَ مِنْ (خَالِدِ بْنِ الوَليدِ) - وَكانَ مَا يزالُ مُشْرِكاً - إلا أَنْ قَامَ بِعَمليَّةِ الْتِفَافٍ حَوْلَ المُسْلمينَ ، فَاحْتَلَّ الجَبَلَ ، وَصَاحَ بالنَّاسِ : يالَلْعُزّىٰ.. يَالَهُبَل!! ثُمَّ صَاحَ عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ : يا جُنْدَ مَكَّةَ! عُودُوا إِلَيْنا فَقَدْ قُتِلَ مُحَمَّدٌ!! وَانْقَلَبَ النَّصْرُ إِلَىٰ هَزيمةٍ ، وَحَدَثَ في صفوفِ المسلمينَ زِلْزالٌ عنيفٌ ، فقدْ فرَّ مَنْ فَرَّ منهم ، وَسَقَطَ الكثيرُ مِنْهُم شُهَداءَ عَلَىٰ أَرْضِ المَعْرَكةِ ،

كحمزةَ ، وَحنظلةَ ، وَمصعبِ بنِ عُمَيرٍ ، وَسَهْلِ بْنِ حنيفٍ رضِيَ اللهُ عنهم...

* * *

وَكَانَ الدَّرْسُ بَلِيغاً

أَمَّا الرَّسُولُ صلى الله عليه وسلم فَقَدْ ثَبَتَ كالجَبَلِ الأَشَمِّ ، وَرَاح يُنادي : « أَنا رَسُولُ اللهِ ، إِلَيَّ يا عبادَ اللهِ » ، وثَبَتَ مِنْ حَوْلِهِ قِلَّةٌ مِنَ المُسْلمينَ ، رَاحُوا يُدافعونَ عَنْهُ (كَأبي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَأَبي دُجَانَةَ ونُسَيبةَ بِنْتِ كَعْبٍ و... رضيَ اللهُ عَنْهُمْ) .

وَلمَّا انتهتِ المَعْركةُ ، تَفَقَّدَ الرَّسُول صَلَواتُ الله عليهِ الشُّهَداءَ ، فَوَجَدَ أَنَّ المُشْرِكينَ قَدْ مَثَّلُوا بِهِمْ ، وَخَاصَّةً عَمُّهُ (حمزةُ) ، فَحَزِنَ لذلكَ كَثيراً ، كَمَا تَفَقَّدَ الجَرْحىٰ أَيْضاً ، وَكَانَ النَّبِيُّ صلواتُ اللهِ عَلَيْه قَدْ شُجَّ رَأْسُهُ ، وكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ ، وَسَالَتِ الدِّمَاءُ عَلَىٰ لِحْيَتِهِ الشَّرِيفَةِ ، وَمَعَ ذلكَ أَنْزَلَ اللهُ تَعَالىٰ

قوله : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [آل عمران : ١٢٨] .

وَفِي طَرِيقِ العَوْدَةِ إِلىٰ المَدِينَةِ هَمَسَ الرَّسُولُ في أُذُنِ عليٍّ : « لَنْ يَنَالُوا مِنَّا مِثْلَ هٰذا اليَوْمِ حَتَّىٰ نَسْتَلِمَ الرُّكْنَ » ، وأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ قوله : ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [آل عمران : ١٣٩-١٤٠] ، وَكَانَ دَرْساً بَلِيغاً....

وَالحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ

* * *